قداس أحد الشعانين

٩ نيسان ٢٠٠٦

دير سيدة اللويزة

"هوذا العالمُ كُله قد تبِعه" (يو ١٢/١٩).

في مثلِ هذا اليومِ، دخلَ يسوع أورشليم لآخرِ مرة دخولَ الفاتحين، وكان جمع غفير قد آمن به لأنه أقام لعازر من بينِ الأموات، ولأنه صنع تلك الآية، خرجت الجموع الغفيرةُ للقائه.

أورشليم بأفواه الرضعِ والأطفالِ تستقْبِلُ الرب يسوع، الملك الحقيقي، حاملين أغصانَ النخلِ والزيتون مرددين: "هوشعنا لابنِ داود، مبارك الآتي باسمِ الرب" (يو ١٢/١٣).

إن كلمة "شعانين" أيها الإخوة، هي لفظةٌ مأخوذةٌ من هتاف "هوشعنا"، الذي أطلقته الجماهير في استقبالِ يسوع، وهي لفظةٌ عبريةٌ تعني: "هلُم خلصنا".

بعفوية وجرأة استقبلَه الاطفالُ وتلاميذُه وأهلُ المدينة والحجاج، أما الفريسيون فاستشاطوا غيظاً وحقداً.

بعفوية وجرأة فرش البعض ثيابه على الطريق، فيما قَطَع آخرون أغصانَ الشجرِ، بينما طرح التلاميذُ رداءاتهم على الجحشِ الذي ركبه يسوع.

بأغصان النخلِ والزيتون استقبلوه، كملك حقيقي، وكمخلصٍ آت لخلاصِ شعبِه.

أما أغصانُ النخلِ فعلامةُ العز الملوكي، ترفَع في استقبالِ الملوك المنتصرين، في حينٍ ترمز أغصانُ الزيتون الى السلامِ، فالمسيح أمير السلام.

النخلُ والزيتونُ يزهوان في مثلِ هذا اليومِ، لأنه يوم المجد والرفعة، يوم العظمة والمهابة، وهو أيضاً يوم التواضع الحقيقي والسلامِ والخلاصِ الشاملِ.

في مثلِ هذا اليومِ تجلت أمور ثلاثةٌ: الجرأةُ والتواضع وروح الطفولة.

فيوم دخلَ السيد المسيح أورشليم، كان الخلاف بينه وبين رجالِ الدينِ والأمنِ قد بلغَ الذروة، وكانوا قد بدأوا يبحثونَ عن طريقة للتخلصِ منه. في هذا الجو المشحون بالبغضاءِ والمحفوف بالأخطارِ، دخلَ يسوع أورشليم متحدياً الجميع وهو يعلَم ما كانَ ينتظره. وهنا، عبر الإصرارِ على المواجهة، تجلت جرأةُ المسيح، وهو الذي قال: من يستحِ بي وبكلامي، يستح به ابن الإنسان، إذا ما جاءَ في مجده ومجد الآبِ وملائكته القديسين" (لو ٩/٢٦).

أما التواضع فيظهر جلياً بدخولِ المسيح أورشليم، وضيعاً، بسيطاً، مسالماً، راكباً جحشاً ابن أتان.

وإذ رآه الناس، وهو الملك ابن اللهِ، على هذا التواضعِ المتناهي، بادروه عفواً، وانخرطوا في الموكبِ يلوحونَ بِسعف النخلِ وأغصان الزيتون. إنه المسيح مثالُ التواضعِ والقائلُ: تعلموا مني أني وديع ومتواضع القلبِ" (متى ١١/٢٩).

هذا، وكانَ بين الجمعِ أطفالٌ راحوا يهتفونَ "هوشعنا لابنِ داود" وهو الذي قال: "من فمِ الأطفالِ والرضعِ أعددت لك تسبيحاً" (متى ٢١/١٥-١٦). ولقد قال للفريسيين: "لو سكتوا هم، لهتفَت الحجارةُ". (لو ٢٩/٤٠). من هنا، ومن تجلّي روحِ الطفولة في ذلك اليومِ التاريخي، أصبح الشعانين عيداً ينتظره الأطفالُ ليتذكّروا مع الكبارِ يوم دخولِ المسيحِ أورشليم مضيئين الشموع حاملين أغصانَ الزيتون مهلّلين لملك المجد.

في تلك الحقبة، كان اليهود يريدونه ملكاً جديداً لإسرائيلَ، يجمع السلطتين: الروحيةَ والزمنيةَ، ويحرر المدينةَ من الرومان.

غير أن ملوكيةَ يسوع كانت إلهية: إنه محرر الإنسان من الداخل، ومحرر المدينة الارضية من الظلمِ والفساد. إنه الآتي من عند الآبِ ليمنح الشعوب والأمم خلاصاً. هو أمير السلامِ، ينتزع كُل خوف من القلوبِ، ويرسي أُسس مملكته الجديدة على التواضعِ والحنان. ملوكيته ملوكيةَ فداءٍ وخلاصٍ وانتصارٍ على الشر والخطيئة، وتحريرٍ من معاناة الظُلمِ والجورِ والقهرِ والاستبداد...

أيها الأخوات والاخوة!

حري بنا أن نعرف، أنه في ذلك اليومِ العظيمِ، وعلى الرغمِ من الاستقبالِ الكبيرِ الذي لقيه المسيح في أورشليم، لم تفارقْه، ولو للحظة، فكرةُ مصيرِه الأخير الذي كان يعرفُه تماماً، وهو الصلْب، مجده الحقيقي. أما المجد الأرضي الذي عاشه ذلك اليوم، فلم يكن مجداً باقياً، والذين هتفوا له يومها، هم أنفُسهم صرخوا بعد أربعة أيامٍ: "اصلبوه، دمه علينا وعلى أولادنا" (متى ٢٧/٢٥)؛ لذلك قال: "حانت الساعةُ لكي يمجد ابن الانسان" (يو ١٢/٢٣).

يا رب، نريد اليوم، كباراً وصغاراً، شيوخاً وأطفالاً، أن نستقبِلَك في قلوبِنا وبيوتنا وفي كنيستنا ووطَنِنا، ملكاً مخلصاً، تحررنا من الداخلِ وتعتقُنا من الخطيئة والأنانية.

اليوم، نهتف لك مع أطفالنا: تعالَ يا سيد، نحن في انتظارِك لتحررنا من الظلمِ والحقد والعنف، من روحِ الخبث والكبرياءِ وحب المظاهر. نريدك أنْ تأتيَ لتملأ فراغَ قلوبِنا، وتعطي حياتنا معناها الحقيقي.

ابق معنا لتدخلَنا في مشروعك الخلاصي القائمِ على الرحمة والمحبة والسلام.

بصوت هؤلاءِ الأطفالِ، ببراءتهم وباسمهم، نطلُب إليك يا رب أن تحمي لبنانَ فيكونَ لهُم فيه مستقبلٌ آمن، وليعيشوا فيه أيامهم بكرامة وتفاهم مع شركائهم.

اليوم، نردد شيباً وشباباً وأطفالاً:

"هوشعنا، مبارك الآتي باسمِ الرب، آمين".

الاباتي سمعان ابو عبده

رئيس عام الرهبانية المارونية المريمية